هذا اخصّ ما ذكرهُ هذا الرحّالة في وصف أولئك الاقوام وهم في النواحي الاستوائية اشبه بالاسكيمو في النواحي القطبية وسنفرد لهؤلآء فصلاً مخصوصاً نتكلم عليهم فيهِ ان شآء الله

المدرسة الشرقية

هي المدرسة التي انشأتها الرهبانية الباسيلية البلدية في مدينة زحلة بهمّة وأريحيّة حضرة رئيسها الفاضل الخوري يوسف الكفوري الذي أُسّست على عهدهِ ولم تزل مشمولةً برعايتهِ ورفدهِ وهي اول مدرسة وطنية أُنشئت في جبل لبنان لتدريس العلوم العالية واللغات المختلفة ولا بِدع ان تكون هذه الرهبانية الكريمة هي السابقة الى هذه المأثرة الجليلة فقد عرف الناس من اعمال افرادها في خدمة الدين والعلم ما جعل لها في النفوس مكاناً علياً واثبت لها في التاريخ ذكراً سنياً فما احرى سائر الرهبانيات ان تقفو اثرها في البلاد وان تجعل لوجودها معنًى يخرجها عن ان تكون عالةً على العباد فان الفضل كل الفضل لمن وقف وجودهُ وموجودهُ على خدمة ابنآء جنسهِ لا لمن قَصَر همَّ دنياهُ وآخرتهِ على منفعة نفسهِ وان هذه هي افضل قُربةٍ يُتقرَّب بها الى الله عزَّ شانهُ بل اشرف عبادةٍ تُستنزَل بها بركتهُ ورضوانهُ

وقد وردتنا في وصف هذه المدرسة الرسالة الآتية من احد الفضلآء الذين زاروها في العهد الاخير فرأينا ان نثبتها في هذا الموضع بياناً لمكانها وتنويهاً بفضل القائمين باعبآئها والرافعين لبنيانها قال

قسم لي الحظ في هذه الايام أن زرت المدرسة الشرقية التي بنيت

حديثاً في مدينة زحلة فالفيتها بنايةً فخيمة بديعة الهندسة قائمة على العدوة الغربية من النهر المعروف بالبردوني في الطرف الاعلى من المدينة حيث يُشرَف منها على جانبٍ من بقاع العزيز. وهي تشتمل على ثلاث طبقات في العليا منها الردهات الفسيحة لمنام الطلبة ونظّارهم وهي تتسع لما ينيف على مئة وثمانين سريراً تدخلها اشعة الشمس المطهرة والنسيم اللطيف من نوافذها الكبيرة العديدة وفي الوسطى غُرَف الدرس والتدريس ومجالس الاستقبال

وهذه المدرسة مستوفية جميع شرائط الصحة مجهزة بكل ما يضمن راحة الطلبة من وسائط الدفء والوقاية من الفواجئ الجوية داخلاً وخارجاً وسائر المعدّات الموافقة لحالة ومشرب الوطنيين

وهي مؤسسة على المصلحة الوطنية العمومية فتقبل الطلبة من جميع الملل والنحل وتعاملهم معاملةً واحدة بيد أنها لا تتصدى لاحدٍ في معتقدهِ. وقد رأيت فيها تلامذة من ابنآء اشراف المسلمين من دمشق وحمص وحماة وبعلبك وحوران ومن امرآء حاصبيا وغيرهم وكذلك رأيت بعضاً من ابنآء الاعيان من طائفة الدروز فضلاً عمن فيها من ابنآء الطوائف النصرانية من كل جهة بحيث غصت بهم على ما رَحُبت

اما الدروس التي تلقى فيها فهي آداب اللغة العربية والفرنسوية والانكليزية والتركية والفلسفة وعلم المواليد الثلاثة والرياضيات بفروعها والجغرافية والتاريخ والخط. وذلك مع صرف العناية الى تخريج الطلبة في تطبيق مايتعلمونهُ على ما يقع فيهِ من الاعمال كالانشآء وقرض الشعر والتعريب وتمرينهم في اللغات التي يدرسونها تكلماً وكتابةً

وقد وُفق حضرة رئيسها المفضال الخوري بولس الكفوري الى اختيار اساتذة علمآء مهَرة منهم اثنان فرنسويا الاصل لتدريس اللغة الفرنسوية. وقد نهضت المدرسة بجميل رأيهِ ومحكم تدبيرهِ نهضةً تذكر بالثنآء على همتهِ ومثابرتهِ وذُكر لي ان في عزمهِ ان يجعلها في العام المقبل ثلاث دوائر ابتدآئية واعدادية وعلمية حتى اذا بلغ بها المنزلة التي يرومها وتمهدت بين يديهِ سبل العمل نظر في انشآء شُعَبٍ لها في الصناعة والزراعة والتجارة اخذاً بتمام اسباب النجاح واستكمالاً للخدمة الوطنية

وقد زار هذه المدرسة بعض العلمآء الاعلام وولاة الامور وفي مقدمتهم حضرة صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان الانخم فسرّوا غاية السرور لما وضح لهم من شريف مبادئها وما رأوا من حسن ترتيبها ونزاهة موقعها واستكمالها لاسباب الراحة والتهذيب. وهي على ما اسلفنا في صدر هذه الرسالة قائمة في بقعة متوسطة في البلاد السورية طيبة الهوآء والمآء والسكة الحديدية تدني اليها السحيق من اطرافها وطرق العربات تمهد الوعر من عقابها. ولنا الامل الوطيد ان هذا المعهد العلمي يظل مشمولاً بعناية اولياء الامر وعلية رجال الوطن واهل النهضة من العلمآء والادبآء ليكون شمساً للعلم والدين والوطن تنبثق منهُ انوار الحقائق والتقوى والالفة ويخرج منهُ رجالٌ صحاح الوطنية يُعتمَد عليهم في تشييد دعائم المدنية ورفع لوآء العلم والانسانية